الكتب

ثورة الأدب
من هيكل الى طه

اخى طه

لم تخلفنى موعدك عند ظهور كتابى (ثورة الادب) فقد عودتني اخوتك الصادقة وصداقتك الخالصة كلما ظهر لى كتاب ان تتناوله بالبحث وأن تتناولنى بالثناء . بل عودتني هذه الاخوة أن تتناول بعض فصول كتبتها بالبحث فيها وبالثناء علي من أجلها . وتحت نظرى الآن ثلاث فصول من قلمك العذب أحدها عن كتابى « فى أوقات الفراغ » ، والآخر رد علي نقدى كتابك فى « الأدب الجاهلي » ، والاخير عن الفصل الذي كتبت عن النثر والشعر والذي احتواه كتابي الجديد . و في كل واحد من هـــذه الفصول كما فى غيرها من فصول ، نشرت السياسة ونشرت الاهرام من قبل هذا الثناء ، وهذا البحث الذى يسعرنى بمالك من أثر فى مجهودى وانتاجي بجعلك صاحب فضل فيه كبير . ولست أخفيك أنى مدين فى حياتى ككاتب لأشخاص كثيرين شجعونى وآزروني وعاونونى بوحيهم وبنقدهم وبحسن توجيههم إياى ، وانى ما أزال بحاجة الى هذه المؤازرة والي هذا الوحى إن كان قد قدرلى أن أنتج فى الكتابة شيئا جديدا ، ولعلى أستطيع يوما أن أفى لاصحاب الفضل هؤلاء ، بفصل على الاقل اكتبه ، فما أستطيع اليوم أن أحصيهم وهم كثيرون . لكنك كنت وما تزال ياصديقى في مقدمتهم كنت وما تزال كذلك حين ألقاك وأتحدث اليك ، وحين اقرؤك وأستمتع بجمال ما تكتب ، وعظيم لذته ودسم غذائه ، وحين أفكر فيك وفيما أثرت في الادب وفي تاريخ الادب العربي من ثائرات لما تهدأ . والحق أنه اذا كانت ثورة الادب مدينة فى هذا العهد الأخير لعدد غير قليل من الكتاب والادباء ، فهي مدينة لك باعنف ما فيها ، مدينة لك باشد ما فيها طرافة . وبحسبى أن أذكر ذلك لتعلم كم يفكر فيك من فكر وما يزال يفكر في ثورة الأدب ، ومن يعتقد بل من يلمس هـــذه الثورة ويرى أنها ماتزال لما تهدأ ، وانها ماتزال تحطم وتهدم وتحاول أن تبنى كما حطمت الثورة الفرنسية النظم والطبقات . ولست أحاول الرجم بما عسى أن تتمخض عنه هذه الثورة حين يستقر الأمر الى التوليد الهادىء المطمئن ، ولعل صديقنا المازنى أقدر منى علي هذا الرجم .

ولست أخفيك كذلك ان فصلك عن (ثورة الادب) أثار منى ابتسامات دهشة وخجل متصلين من أوله الى آخره فقد رأيتك تصورني فيه صورة لاأعرفها لنفسى ، صورة جن لاينقطع انتاجه وأب لايبخل على أسرته بحقها عليه ، وصديق لا يضن على أصدقائه بحقوقهم عليه . فلست أعرف لنفسى من هذا كله شيئا . إنما انا مقصر فى حقوق أصـــدقائى ، اكثر من مقصر فى حق اسرتى . ثم ماذا ترانى ياصديقى انتجت ؟ دعك من فصول يومية تكتب فى الصحف فانت اعرف الناس بتفاهة ما ينفق من مجهود فى هذه الفصول . ودعك من العمل فى حزب سياسى فانت ادرى بالسياسة المصرية : ما هى وما مبلغ الجد فيها . دعك من هذين وانظر واياى فيما انتجت . إنه لاشىء ، او لا يكاد يكون شيئا فانا رجل بيني و بين الخامسة والاربعين شهور ، وهذا انا لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

أم تحسب هذه الكتب القليلة مجهود جنى ؟ ! ان يكن ذلك فهو جنى بليد ، يطوف فى الآفاق ثم يرضى من الغنيمة بالاياب ، أو هو كما ذكرت جنى هادىء مطمئن أفاق منذ حين قصير من نوم مريح . ولعلى لاآسف اذ أصف نفسى فى ذلك على حقيقتها . وكل رجائى أن أصل من الحياة الى حظ هادىء مطمئن يكفينى بعده أن أفى لاصدقائى بحقوقهم ولأسرتى بحقها ، وألا اكون هذا الرجل المقصر الذى يعذر الناس تقصيره ويتوهمونه لكثرة عمله ، وما هى كثرة العمل وانما هو تقصير من جعله الحظ مقصرا .

وتذكر ياصديقى انك دهشت حين رأيتنى أعلنت عن (ثورة الأدب) اعلانا أمريكيا وانى سارعت فى اهدائى وكنت تعرفنى أشد الناس فتورا في الاعلان والاهداء ، وتتساءل ان كان الله قد رزقني عفريتا فى الاعلان ، وتكرر انك ماتزال دهشا لانك لم

تفهم بعد مصدر هذه السرعة في الاهداء والاعلان. واني لجد حريص على ان تزول دهشتك. فلا دلك على هذا العفريت الذي رزقني الله في الاعلان والاهداء. هو النظام الجديد للمطبوعات والصحف. فقد تعلم ان هذا النظام يقتضي إجراءات، منها تقديم عدد من النسخ الى ادارة المطبوعات ومنها ان اية هيئة علمية أو أدبية أو دينية أو ما أدري ماذا تستطيع أن توحي الى الحكومة فتصادر الكتاب الذي يطبع، وقد تصادر المطبعة التي طبع الكتاب فيها. ولعلك لم تنس قصة كتاب الخطيب البغدادي في السنة الماضية وحسن بلائك في الافراج عنه. وقد ابتلينا نحن من قبل بشيء من هذا، حين طبعت وصاحبي المازني وعنان كتاب (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري) فقد قدمنا منه خمس نسخ لادارة المطبوعات وأخذنا بها ايصالا وأردت بنفسي أخذ خمسمائة نسخة من الكتاب فاذا البوليس يحيط بي ويقتادني وكتبي الى قسم عابدين، واذا به يأمر الا ينشر الكتاب، واذا بي أضطر الى الالتجاء للنائب العام والى انتظار أسبوع أو نحوه حتى يفرج عن الكتاب. أفليس من حقي وذلك ما رأيت ان أحتاط لنفسي حتى لا يقودني البوليس والجند مرة أخرى الى القسم. فاني لأؤكد لك ياصديقي طه ان مثل هذا الموقف ليس مما تستريح له نفسي ولا نفس أي رجل مثقف. ولتلاحظ ياصديقي أن عنوان كتابي (ثورة الأدب) .. واذا كنت مهما أثر لا أخيفك، او كانت الثورة لا تخيفك مهما تكن، فيخيل الى ان غيرك يخاف حين أثور وان لم أر نفسي يوما في حاجة الى أن أثور، ويخيل الي أن غيرك يخاف من كلمة الثورة كما كان الاتراك في العهد الحميدي يخافون كلمة الثورة وكلمة الحرية ولا يأذنون بنشرها. أو نشر ما يماثلها. فلكي أتقي البوليس والجند والذهاب الى القسم أعلنت الكتاب للناس وسارعت الى اهدائه أصدقائي حتى اذا صودر قبل نشره أو أصابته مصيبة من مصائب هذا العهد أكون قد تعزيت بما أهديت من بعض نسخه، وبأني أعلنته للناس فحل بي وبه ما حل من ظلم وهضم.

هذا هو العفريت الذي لم تعرف ياصديقي مصدره. ولعلي إذ دللتك عليه وذكرت لك ما أصاب كتابي (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري) عذيري عن خروجي على ما طبعت عليه من فتور في الاعلان والاهداء يعادل فتوري في حق أصدقائي وفي حق أسرتي. فان رأيتني مع ذلك بالغت في الاحتياط فظهرت في غير ما كان يليق بي أن أظهر فليس لي إلا أن اعتذر اليك وأن أعدك اني لن أعود اليها

هذا عن شخصي. وما أدري ياصديقي ما عساي أقول لك فيما كتبت عن (ثورة الأدب) لقد أثار دهشتي وأثار خجلي فما كنت أحسبه ينال منك كل هذا التقدير، ولا كنت أحسبه جديراً به. وما عساي أقول في تقديرك الكتاب بأنه «تاريخ صحيح دقيق للادب العربي المصري في هذه الأعوام الأخيرة من جهة وهو فلسفة ادبية رفيعة موضوعها ادبنا الحديث من جهة أخرى». وإنه كتاب «تمضي فيه فيخيل اليك أنك تمضي في كلام مألوف ولكنك لا تكاد تفكر قليلا فيما تقرأ، او لا تكاد تلح في القراءة حتى يفتح لك هذا الكتاب أبوابا وبسط امامك آفاقا ما كنت تعرفها او تفكر فيها من قبل. واذا كل شيء جديد. واذا كل شيء طريف. وإذ الكاتب يخدعك ويمكر بك وان لم يرد خداعا ولا مكرا» «وان المؤلف» هو المؤرخ العربي للأدب العصري الحديث، وانه قد فرض بذلك نفسه، لا اقول على هذا الجيل وحده، بل اقول على الاجيال المقبلة ايضا... وان كتابه هذا سيصبح من المصادر القيمة للذين يريدون ان يدرسوا ادبنا المصري في نهضته هذه الحاضرة) ما عساي ياصديقي اقول في هذا كله. اقول انه كثير. وانه أثار دهشتي وخجلي. واحسب صدق مودتك واخلاص اخوتك كان لهما اثر غير قليل في املاء هذه العبارات ومثلها عليك، كما كان لهما اثر غير قليل فيما كتبت عن شخصي:

ولعلك أنت شعرت بهذا، وخشيت من أن يتهمك الناس بالاسراف في الثناء على صديقك اسرافاً يصرفهم عن حسن الاستماع له فأردت أن تحصي عليه وعلى كتابه بعض هنات تجعلهم أدنى إلى الايمان بعدالة ثنائك. وأنت على حق فيما أحصيت من بعض الهنات وإن كنت قد أسرفت في بعضها. فقد ذكرت أن هيكلا: «من أصحاب المعاني بين الكتاب وأنه يهمل لغته اهمالا شديداً ويتورط في ألوان من الخطأ واضطراب الاسلوب، يدنيه أحياناً من الابتذال. والغريب أنه لا يضيق بذلك ولا يجد به بأسا ولا يعترف بأنه يسيء إلى نفسه وإلى أدبه معاً» والحق ياصديقي أنني لا أضيق بشيء ولا أجد به بأساً. لكني أستأذنك في أن أوجه اليك شيئاً من اللوم غير قليل. فنحن حقاً مختلفان في أمر اللغة والأسلوب خلافاً سأتلو عليك سببه. لكني لم أعرف قط منك أن لغتي وأسلوبي يدنياني من الابتذال. بل عرفت منك غير هذا. ولعلي لا أخطيء إذا وضعت تحت نظرك بعض عبارات كتبتها أنت في هذا الشأن. فقد ذكرت حين كتبت في السياسة الاسبوعية في ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ عن كتابي (في اوقات الفراغ).

«... كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تكتب في «الجريدة» وكذلك أنت الآن. وإن يكن قد جد شيء فهو أنك ازددت فيما أنت فيه من القوة ثباتاً ورسوخ قدم، وانك استطعت

أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك ، وقد كانت تستعصى عليك وتنتهي بك أحياناً إلى مايكره سيبويه والخليل ، وصديقك طه حسين . وأنت تذكر ماكان بيني وبينك من جدال متصل في هذا الموضوع . فقد كنت أتهمك بقلة البضاعة فى اللغة العربية وكنت تجيبنى بأنى أزهرى . وكان أستاذنا لطفى السيد يسخر منك ومنى فى رفق وحنان . وقد مضت أيام وأعوام وما زلت أنا أزهريا كما كنت ، أما أنت فقد أتقنت اللغة العربية اتقانا ورضتها حتى ذلت لك . فأنت تستطيع أن تقول أنى أزهرى وأنا لا أستطيع أن أتهمك بالضعف فى اللغة العربية . ولكن لكل شىء حدا . فما رأيك فى أنك أتقنت اللغة العربية ، حتى لقد تسرف فى هذا الاتقان وتصطنع من الألفاظ والاساليب مايصح أن تعاب به لأنه أدنى الى التقعر منه إلى شىء آخر . صدقني فأنت أزهرى فى بعض الأحيان . وكم لى عليك من فضل أيها الصديق العاق . مازلت أعيب لغتك حتى اصبحت شيخا قحا ، . . . وقد ذكرت حين كتبت عن فصل الشعر والنثر فى السياسة الاسبوعية بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٢٧ : « انت لاتكتب إلا اضطررت قراءك إلى الثناء والاعجاب ، وانت لاتسمع ثناء ولا تحس اعجابا الا ازددت إجادة وأمعنت فى الاتقان . ولست ادرى إلى اين يذهب بك هذا الامعان في إجادة البحث واتقان التفكير والتوفيق إلى الجمال الفنى فيما تكتب . الخ » لعلى لم اخطىء اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارات وما قد تذكر من مثلها لاوجه اليك شيئا من اللوم غير قليل . فمالك ياصديقى وكلما نعرف دقة ذوقك الادبى ، لم توجه نظرى منذ تلك السنوات الطويلة إلى ماتورط فيه من خطأ واضطراب فى الاسلوب يدنينى احيانا من الابتذال . لقد كان لى اثناءها متسع من الوقت لاوجه شيئا من الجهد اسلم به من هذا الذى لم تنهنى اليه إلا اليوم . اما ولم تفعل فلعلى لا أغلو ياصديقى اذا اتهمتك بأنك خدعتني كل هذه السنين وعبثت بى كل هذا العبث ، وتركتنى حتى تقدمت بي السن إلى حيث لايستطيع الانسان إصلاح ماأفسد الدهر .

أم أن الأمر ليس كذلك ياصديقى وأنك أنت قد ازداد ذوقك الفني دقة زادت نقدك اللغة والاساليب بأساً وشدة ، فأخرجنى ذلك من حظيرة رفقك وتسامحك . إن يكن ذلك فأنت جدير من أجله بكل ثناء ، جدير بكل تقدير على ما حباك الله مما كنت اود لو جاد على ببعض منه .

امانى كنت ياصديقى على ماوصفت فى سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ ثم عادت بضاعتى من اللغة العربية الى مثل ما كنت تذكر قبل خمس وعشرين سنة من قلة ، وعاد اسلوبي الى الاضطراب احيانا . ان يكن ذلك فلاحول ولاقوة الا بالله . وانا لله وانا اليه راجعون . فاما ان لم يكنه فلومى شديد اياك وعتبى عليك يقضى به عليك وفاؤك لصديقك ان تراجع كتبه كلها ما ظهر منها وما قد يظهر وان تزيل منها ماقد يكون فيها من اضطراب وخطأ فان لم تفعل وجهت اليك اليوم ماوجهت أنت الى فى سنة ١٩٢٦ من تهمة عقوق الصداقة وعدم الوفاء بما لها من حق .

أحسبك ستبتسم حين تقرأ هذه العبارة لأنك تعلم اني لا أضيق بأسلوبى ، ولا أجد به بأسا . ولعلك ياصديقى على حق . بل انك لعلى حق . فليكن اسلوبي ما يكون فلن ارضى به بديلا : فاسلوب الكاتب هو الكاتب . ولن أرضى لنفسى ان أكون الا انا . انا بما فى من حسن وقبيح . من خير وشر . من عرف ونكر . والحمد لله الذى جعلنى كما انا ، ولم يجعلنى شرا مما انا . والحمد لله الذى جعل كثيرين ممن تناولوا كتابى هذا وغيره من كتبى يعجبهم اسلوبى اكثر مما اعجبك ياصديقى .

ومالى اضيق باسلوبي ولم اتخذ الادب يوما صناعة ولا انا توفرت على دراسة الادب . انما انا رجل درس القانون ودرس الاقتصاد والسياسة ومال الى قراءة الفلسفة والادب لا الي دراستهما دراسة انقطاع وتمحيص ، وطبيعى ان يكون اسلوبي اسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون ان تؤدي المعانى بالفاظ لا تزيد عليها ولا تضيق بها ، والذين لا يعنيهم لذلك بهرجة اللفظ للفظ ، وقد زادني حرصا على هذا الأسلوب انى رايت مثله موضع الاطراء من طائفة من كبار الكتاب والفلاسفة . وانت لاريب ياصديقى قد قرأت نقد « تين » لفلسفة كوزن فى احد الاجزاء الثلاثة من كتابه (رسائل فى النقد والتاريخ) ورايت كيف جعل من اشد ما آخذه به انه يطيل من حيث لاتقتضى الفكرة الاطالة ، وكيف جعل ينقل الصفحة الكاملة من كوزن فيضع فكرتها فى سطرين او ثلاثة اسطر . هذا والادب الذي أقرأ ينحو اليوم نحو هذا الاسلوب . فبعدان كانت روايات روسو تقع فى خمسمائة صفحة او اكثر نزعت القصة شيئا فشيئا بأسلوبها الى الايجاز . لا فى وقائعها ، ولكن فى بهرجة الالفاظ التى تقص بها تلك الوقائع ، ولعل ميل العالم الحاضر الى السرعة فى كل شىء هو الذى عفى على الاطالة ، فمل الاستماع الي الأشخاص الذين يعجبون بالاستماع الى كلامهم حين يتكلمون فيطيلون القول لتطول لهم لذة هذا الاستماع ، ومل قراءة الاشخاص الذين يعجبون بالفاظهم حين يكتبون فيطيلون رسائلهم وكتبهم ، لعل هذا الميل الى السرعة هو الذى مال حتى بالادب الى اسلوب

القانون، وهو الذي جعل الذين درسوا القانون في فرنسا وفي مصر وفي كل امة من الامم يجددون في الاساليب كما يجدد فيها الذين توفروا على دراسة الادب، او أكثر مما يجدد فيها هؤلاء في بعض الاحايين، والفن الحديث هو الآخر ينحو هذا النحو، فالبساطة والقوة هما اليوم اساسه، ويخيل الى ان اسلوب هذا الفن واسلوب الأدب واسلوب القانون قد اتفقت اليوم وقد نفت الزخرف للزخرف، وأصرت على ان يكون اللباب هو الاساس في اساليبها جميعاً. اللباب الذى يعطي القطعة الفنية طابعها والذى يقيم نظريات القانون ويحقق رسالة الادب، اللباب الذي يقف من هذه جميعا كالبيت المشيد من غير حاجة الى ما تعودته القرون الماضية من زخرف عصور الرومانتسم ومن زخرف الكلاسيك انفسهم. ولعلك توافقني ياصديقي على هذا ولا ترى رايا غيره، وان كان الخلاف بيننا على اللغة وعلى الاسلوب قديما. فقد درجت انت من ازهريتك التي اشرت اليها الى اسلوبك الجديد، وجاهدت انا ما استطعت الجهاد حتى وصلت الى ما انا اليوم

لكني أعترف ياصديقي بانك على حق حين آخذتني بانني أسرع فيفوتني لذلك التحقق من بعض الشؤون، وانك وقعت على هنة ما كان يجوز لي أن أقع فيها حين اردت أن أذكر الاوديسا فذكرت الانياد. واذا ذكرت لك انني انا الذى قمت بتصحيح تجارب الكتاب فقرأته عدة مرات قبل طبعه، رأيت أني أكبر جريرة. لكني اختلف وإياك، وإن كنت لا أحسب ذلك خلافا فيما ذكرت عن لابرويير وموليير. فما أشك في أنهما تاثرا بكتاب اليونان ممن ذكرت ومن تعرف أكثر مما أعرف لانك درستهم دراسة خاصة. ولكنني إنما أردت أن موليير ولابرويير لم يتخذا من تاريخ اليونان والرومان إطار أدبهما كما فعل راسين وكورني. بل اتخذا الحياة المحيطة بهما وتاثرا بها إطار أدبهما. وهذه خطوة في التحرر من آثار اليونان والرومان مهدت للخطوات التي بعدها. فان تكن إشارتك ياصديقي الى طائفة من الخطأ تاخذ به كتابي انما هي الى خطأ من هذا النوع، فلعله لا يكون خطأ. ولعلنا نستطيع أن نتفق عليه اتفاقنا على أكثر ما في كتابي من آراء، وليس شيء أحب الى من أن أتفق وإياك وان كنت أجد في اختلافنا لذة لا أجدها في خلاف يقع بيني وبين أحد غيرك.

وقد لاحظت يا أخي أن اشتغالي المتصل بالسياسة قد أثر في تصوري الاشياء وفي حكمي عليها بعض الشيء وذكرت لذلك مثلين: أحدهما اني اسرفت حين اسأت الظن. بما يكتبه الاوربيون عن حياتنا الادبية بينما انت تظن ان «جب» وامثاله لا ياخذون السياسة واهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. والثاني انني اسرفت حين أحسنت الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج وانى انما فعلت ذلك لارضي المصريين والشرقيين في الأدب كما افعل في السياسة. وانك أنت ترى هذا شرا لانه تغيير للحقائق العلمية ارضاء لمصر والشرق، والحقائق آثر عندك من أي شيء ومن أي انسان. وانني لأؤكد لك صادقا ان الحقائق العلمية آثر عندي انا ايضاً من كل شيء ومن كل انسان. واذا كان اشتغالي المتصل بالسياسة قد اثر في تصوري الاشياء وفي حكمي عليها فانما كان أثره أن زادني تقليبا للاشياء، وامتحانا لها وتعمقا في بحث ماتنطوي عليه وما ترمي اليه، وأنا معك في أن «جب» وأمثاله لا يتخذون السياسة وأهواءها مقياسا لدراساتهم الأدبية. لكن دراساتهم هذه، ودراسات الكثيرين منهم على الاقل، يقصد بها أكثر الأمر الى تنوير الساسة من أهل بلادهم، والى اطلاعهم على عنصر من عناصر حيوية الشرق هو في رأيهم، وهو في الواقع، أجل هذه العناصر خطراً. فاذا كانت الاهواء السياسية ليست هي التي توجه دراساتهم فدراساتهم يقصد بها في كثير من الاحيان الى خدمة هذه السياسة وإن قصد بها كذلك الي أغراض علمية بحتة. وما أحسبك تخالفني ياصديقي في أن كتاب «وجهة الاسلام» الذى الفه خمسة من كبار المستشرقين المشتغلين بالادب الحديث في بلاد الشرق المختلفة إنما هو كتاب سياسي مداه بحث ماوصلت اليه أوربا مما يسميه الاستاذ «جب» تغريب الشرق، ومايرجى لهذا «التغريب» في المستقبل من نجاح وانا لاأعيب هؤلاء العلماء المحترمين بهذا بل أحسدهم عليه أعظم الحسد. فهم به يخدمون أوطانهم ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل المدنية الحاكمة في العالم. وهذه الخدمة الجليلة التي يقومون بها لأوطانهم وللعلم ولحضارتهم حقيقة علمية يسّر لي اشتغالي بالسياسة الوقوف عليها. ولو أنك اقطعت للسياسة ياصديقي انقطاعي وأفنيت من تفكيرك فيها ما أفنيت انا لوافقتني على هذه الحقيقة ولم تتهمني بالاسراف اذ علمتها. وما ذكرت انا في مقدمة (ثورة الأدب) عن الحضارة التي نعمل جميعا لبعثها، وهل هي حضارة اسلامية، ام حضارة عربية، واهتمام بعض الطلاب والطالبات الاوربيين برأينا في ذلك وحرصهم على اقناعنا بأنها حضارة عربية، وليست حضارة اسلامية، اذا صدق ظني، ففيه جانب من السياسة يعادل مافيه من جانب البحث عن الحقيقة العلمية.

اما اني اسرفت متأثراً باشتغالي المتصل بالسياسة في حسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج فأحسب صديقي يوافقني علي انه اذا زالت عوامل الفتور والضعف مما اشرت اليه في تضاعيف كتابي لما كان فيما قلت شيء من الاسراف . وإذا جاء اليوم الذي ينفسح فيه عندنا ميدان العلم وتزول كل العوائق التي تقف اليوم في سبيله، والذي تتقرر فيه حرية العاطفة وحرية الحس وحرية الأدب، والذي يبعث فيه تراث هذا الشرق العظيم ، والذي يكثر فيه المتعلمون تعلما صحيحاً منا كثرة تسمح بالتخصص في الأدب والانقطاع لفرع من فروعه ، يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي القوة على الانتاج تجنياً على هذه البلاد وعلى الحقيقة ، هذا إلا ان تكون ياصديقي من الذين يقولون بان الاوربيين ينتمون إلى الجنس الآري ، وهم لذلك ارقى منا ونحن ننتمي الى الجنس السامي بالطبع . وما احسبك تقول بهذا او تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء في اوربا اعتباره ، بل احسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها تغريب الشرق والقضاء عليه بأن يبقى خاضعاً للغرب الى الابد .

واختم رسالتي هذه اليك ياصديقي بشكرك شكراً لاحد له وبان اشير عليك ان تقرأ كتيباً صغيراً كتبه بول جيزل Paul Gsell عقب وفاة اناتول فرانس عنوانه Propos Anatole France لتري ما ذكر فيه عن موليير وشكسبير وغيرهما من كبار الكتاب وما قاله بعض النقاد فيهم . واذا كنت انت أكبر من هؤلاء النقاد ، وكنت أنا لاشيء إلى جانب هؤلاء الكتاب الذين خلقهم القدر اعلاما في حياته الانسانية بل في حياة الوجود كله فان فيما قرأت أنا من ذلك ماعزاني عن اسلوبي ، وعن بعض ما أخذت على بحق من هنات أؤكد لك أني سعدت بتنبيهك اليها اكثر ما سعدت بثنائك علي . افليست الحياة جهاداً متصلا نحو الكمال ، كل في حدود ما يطيق ، وهل للكمال سبيل الا المجهود المتصل والتهذيب الدائم لهذا المجهود ، وتشذيب ما يند عن الطريق السوي فيه حتى لانتساق وراء الشذوذ فنضل الطريق السوي . وهذا فضل لك جديد اضيفه الى سابق افضالك علي وارجوك ان تعتقد اني دائما

صديقك الوفي المخلص

محمد حسين هيكل

(خطأ مطبعي) ورد في صفحة ٢٦ (لتسكن) و(المظنونة) وصوابهما لتكون والمظنون

من طه الى هيكل

« بقية المنشور على صفحة ٥ »

كرهت ذلك واكتفيت بالاشارة . فأما وانت لاتحب الاشارة ولا ترضى الا التصريح . فأذن لي في ان اضع يدك على طائفة من مواضع الضعف لافي ثورة الادب بل في هذا الكتاب القيم الذي ترد به علي في الرسالة اليوم وفي السياسة بعد غد .

فانت تقول في هذا الكتاب « ولست اخفيك » ولعلك توافقني على ان الخير في ان تقول « ولست أخفي عليك ، وانت تقول « ويرى انها ماتزال لما تهدأ » ولعلك توافقني على أن لما هنا ثقيلة جدا مفسدة للاسلوب لوقوعها هذا الموقع النابي بين فعلين . وانت تقول « اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارة » واظنك توافقني على ان تحت نظرك هذه قريبة جدا الى الابتذال . وانت تقول « لن ارضى لنفسي ان أكون إلا أنا » . ولعلك توافقني على أن الصواب الا اياي .

ومثل هذا كثير ايها الصديق العزيز في هذا الكتاب وفي ثورة الادب . ولعلك تري ان الخطأ والابتذال شيء ، وان البساطة والايجاز والقوة شيء آخر . وانك تستطيع - ان اردت - ان تكون بسيطا موجزا قويا دون ان تخطيء او تدنو من الابتذال .

اما بعد فقد اعجبني منك ايها الصديق انك سجلت في كتابك على ثنائي عليك كله تسجيلا . فعم كان هذا التسجيل ؟

اخائف انت ان انساه ؟ وكيف انسى ماسجلت المطبعة ؟

اخائف انت ان انكره ؟ فثق بأني قد اثنيت عليك صادقاً وما تعودت أن اعطي باليمين وأسترد بالشمال ؟ بعض هذا المكر وبعض هذا الدهاء . فالأمر بينك وبيني ارفع من المكر وأمتن من الدهاء ، وأوضح من ان يحتاج الى التسجيل والتشديد في الحساب .

اما بعد فهل تأذن لي في ملاحظة يسيرة جداً كنت اود لو لم احتج اليها ، ولكن حياة الأدباء في هذه الأيام تضطرني اليها . كم احب للأدباء الا يضيقوا بالنقد وألا يحفلوا بالرد عليه الا ان تدعو الى ذلك حقيقة علمية لاينبغي اهمالها ، فماذا يعنيك ان يحسن رأي الناس او يسوء في اسلوبك ، فان كان هذا يعنيك او يؤذيك فالخير في ان تجعل هذا سراً بينك وبين نفسك لا ان تعلنه الى الناس .

وأنا ارجو أيها الصديق العزيز ان تقبل مني تحية كلها الحب والاعجاب .

طه حسين